

تفسير البحر المحيط

@ 258 أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلَفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِمْ * وَعَدْنَاهُ
الْوُجُوهَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلُمًا * وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا * وَكَذَلِكَ
أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ
وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ
زِدْنِي عِلْمًا } . .

ذلك إشارة إلى نبي موسى وبني إسرائيل وفرعون أي كقصنا هذا النبأ الغريب نقص عليك من
أنباء الأمم السابقة ، وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهي الإعلام بأخبار الأمم السالفة ليتسلى
بذلك ويعلم أن ما صدر من الأمم لرسولهم وما قاست الرسل منهم ، والظاهر أن الذكر هنا
القرآن امتن تعالى عليه بإيتائه الذكر المشتمل على القصص والأخبار الدال ذلك على معجزات
أوتيتها . وقال مقاتل : { ذِكْرًا } بياناً . وقال أبو سهل : شرفاً وذكرًا في الناس . .
{ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ } أي عن القرآن بكونه لم يؤمن به ولم يتبع ما فيه . وقرأ
الجمهور { يَحْمِلُ } مضارع حمل مخففاً مبنياً للفاعل . وقرأت فرقة منهم داود بن رفيع
: يُحَمِّلُ مشدد الميم مبنياً للمفعول لأنه يكلف ذلك لا أنه يحمله طوعاً و { وَزُرًا }
مفعول ثان و { وَزُرًا } ثقلاً باهظاً يؤده حمله وهو ثقل العذاب . وقال مجاهد : إثماً .
وقال الثوري شركاً والظاهر أنه عبَّر عن العقوبة بالوزر لأنه سببها ولذلك قال {
خَالِدِينَ فِيهِ } أي في العذاب والعقوبة وجمع خالدين ، والضمير في { لَهُمْ } حملاً
على معنى من بعد الحمل على لفظها في أعرض وفي فإنه يحمل ، والمخصوص بالذم محذوف أي
وزرهم و { لَهُمْ } للبيان كهي في { هَيِّتْ لَكَ } لا متعلقة بساء { وَسَاءَ } هنا هي
التي جرت مجرى بئس لا ساء التي بمعنى أحرز وأهم لفساد المعنى . .

ويوم نفخ بدل من يوم القيامة . وقرأ الجمهور { يُنْفَخُ } مبنياً للمفعول {
وَنَحْشُرُ } بالنن مبنياً للفاعل بنون العظمة . وقرأ أبو عمرو وابن محيصن وحيد :
نفخ بنون العظمة لنحشر أسند النفخ إلى الأمر به ، والنافخ هو إسرافيل ولكرامته أسند ما
يتولاه إلى ذاته المقدسة و { الصُّورِ } تقدم الكلام فيه في الأنعام . وقرء يَنْفُخُ
وَيَحْشُرُ بالياء فيهما مبنياً للفاعل . وقرأ الحسن وابن عياض في جماعة { فِي الصُّورِ
{ على وزن درر والحسن : يُحْشَرُ ، بالياء مبنياً للمفعول ، وَيَحْشُرُ مبنياً للفاعل ،

وبالبياء أي ويحشر ا . والظاهر أن المراد بالزرق زرقة العيون ، والزرقة أبغض ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدو : أسود الكبد ، أصهب السبال ، أزرق العين . وقال الشاعر : % (وما كنت أخشى أن تكون وفاته % . بكفي سبنتي أزرق العين مطرق وقد ذكر في آية أخرى أنهم يحشرون سود الوجوه ، فالمعنى تشويه الصورة من سواد الوجه وزرقة العين وأيضاً فالعرب تتشاءم بالزرقة . قال الشاعر :

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبرألا كل عيسى من اللؤم أزرق وقيل : المعنى عمياً لأن العين إذا ذهب نورها أزرق ناظرها ، وبهذا التأويل يقع الجمع بين قوله { زُرْراً } في هذه الآية و { عُمُيًّا } في الآية الأخرى . وقيل : زرق ألوان أبدانهم ، وذلك غاية في التشويه إذ يجئن كلون الرماد وفي كلام العرب يسمى هذا اللون أزرق ، ولا تزرُق الجلود إلا من مكابدة الشدائد وجفوف رطوبتها . وقيل : { زُرْراً } عطاشاً والعطش الشديد يرد سواد العين إلى البياض ، ومنه قولهم سنان أزرق وقوله : . فلما وردن الماء زرقاً جمامه .

أي ابيض ، وذكرت الآيتان لابن عباس فقال ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيها زرقاً وحالة يكونون